الخطب المنبرية

الابتلاء بالأعداء

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونَعُوذ بالله مِن شُرور أَنْفُسِنا ومِن سَيِّئَات أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ له، وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بعدُ:

فإِنَّ أَصْدَقَ الحديث: كتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْي: هَدْيُ محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأمور: مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيُّها المؤمنون!

اتَّقوا رَبَّكم، وَالْزمُوا دينكم، واتَّبِعُوا شَـرْعَكم، وتَمَسَّـكُوا بما كان عليه نَبِيُّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاعْلموا أَنَّ الدُّنيا دارُ فتنةٍ وابتلاءٍ، وأَنَّ الله يبتلي فيها الخَلْقَ بأشياءَ وأشياءَ.

ومِمَّا يُبتَلَى به المؤمنون: الأعداء؛ فيَكِيدون لهم، ويمكرون بِهم، وَيَتَنَادَون عليهم.

وقد ذَكَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك في مواضعَ عن الرَّعيل الأَوَّل مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كغزوة أُحُدٍ والأحزاب؛ فقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

ويَعْظُمُ الابتلاء بالأعداء كُلَّما تَقَادَمَ الزَّمان وقَرُب انصِرَامُه؛ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»[(١)]؛ أي يَقْرُب أَنْ تجتمعَ عليكم الأُمَمُ مُتَنَادِيةً مُتعَاوِنَةً كما يَتَنَادَى القومُ الرَّاغبون في الأكل على قَصْعة الطَّعامِ - أي آنِيَتِه - ليأكُلُوها؛ فيُوشِك أَنْ تكون هذه حال

(١) أخرجه أبو داودَ (٤٢٩٧)، مِن حديث ثَوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المُؤمِنين.

وقد رأيتُم رَأْيَ العينِ، وتَحَقَّقْتُم حَقَّ اليقين، ما يَمْكُر به أعداؤُكم للمسلمين كافَّةً، ولهذه البلاد خاصَّةً.

وما المراد مِن ذلك - بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ - إِلَّا رَدُّكم إليه، وتوثِيقُ صِلَتِكُم به، والتَّوبةُ إليه سبحانه، وامتلاءُ القلوبِ بتوحيدِه؛ فإِنَّها إذا كانت على هذه الحال مَكَّن الله لها، وثَبَّت أقدامَها، وكَسَر أعداءَها.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المجادلة:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾ [النِّساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال].

فإذا تَكَاثرتِ الأخبار، وتوالت النُّذُر بتداعي الأشرار عليكم، فَتُوبوا إلى رَبِّكم، وأَقْبِلُوا عليه، وتَوَكَّلوا عليه حَقَّ التَّوكُّل، وَامْلَؤُوا قلوبَكم بتوحيدِه، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأمرَ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا نجاءَ لنا إِلَّا بطاعَتِه - سبحانه - وإفرادِ العِبادةِ له، وتجريدِ القلوبِ مِن التَّعَلُّق بِسِواه؛ فإِنَّ القلوبَ إذا كانتْ كذلك نَصَرَها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أعدائها.

فَكُلُّ عَدُوٍّ وإِنْ كَثُر فهو أمامَ اللهِ قليلٌ، وكُلُّ عَدُوٍّ وَإِنْ كَبُر فهو أمامَ اللهِ صغيرٌ،

وكُلُّ عَدُوٍّ وإِنْ عَزَّ فإِنَّه أمامَ اللهِ حقيرٌ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف:٢١].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العليَّ العظيمَ لي ولكم، فاستغفِرُوه إِنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخطبة الثَّانية

الحمد لله حَمْدًا حَمْدًا، والشُّكْر له توالِيًا وتَتْرًا، وأشهد أَلَّا إِله إِلَّا الله وحده لا شريك له معبودًا حَقًّا، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه صِدْقًا.

اللَّهمَّ صَـلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صَـلَّيت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ، اللَّهمَّ باركْ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مَجيدٌ.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون!

إذا ابتُلِيتُم بأعدائكم فتوبُوا إلى رَبِّكم وَوَحِّدوه، وتَوَكَّلوا عليه، وتَعَلَّقوا به، **وَاعْلموا أَنَّه يَتَأَكَّد التَّذكير حينئذٍ بأصلين عظيمين:**

* **أحدهما:** طاعة مَنْ وَلَّاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَكم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّساء:٥٩].

وقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى المَرْءِ المُسْـلِمِ السَّـمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِـيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِـيَةٍ فَلَا سَـمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[٢]؛ أي لا سَـمْعَ

(٢) أخرجه مسلمٌ (١٨٣٩)، مِن حديث عبد الله بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا طاعةَ في تلك المعصيةِ.

* **والآخر**: لزومُ الجماعةِ، وعدمُ الخروج عن سَوَاد المسلمين؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وحَبْلُ الله هو الجماعة.

وقال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ**» (٣).

فَالْزَموا - أَيُّها المؤمنون - جماعتكم، وأطيعُوا وُلاةَ أمرِكُم في غير معصية الله؛ يُمَكِّنْكُم الله عَزَّوَجَلَّ مِن أعدائِكم، ويُظْهِرْكُم عليهِم.

اللَّهمَّ إِنَّا نعوذ بك مِن شَرِّ الأشرار، وكَيْدِ الفُجَّارِ.

اللَّهمَّ إِنَّا نعوذُ بك مِن شُرُورِهم، ونَدْرَأُ بك فِي نُحُورِهم.

اللَّهمَّ احفظْ بلاد المسلمين كافَّةً، وبَلَدَنا هذا خاصَّةً.

اللَّهمَّ احفظْ بلادَ المسلمين كافَّةً، وبلدَنا هذا خاصَّةً.

اللهم إِنَّا نعوذ بك من شَرِّ الأشرار وكَيْد الفُجَّار.

اللَّهمَّ إِنَّا نعوذ بك مِن شُرُورهم، ونَدْرَأ بك فِي نُحُورِهم.

اللَّهمَّ أَصْلِحْ ذاتَ شأنِنا، وأَلِّفْ بين قلوبِنا، وثَبِّتْ على الحَقِّ أَقدامَنا، وتَوَلَّنا برعايتِك وعنايتِك في الأُولى والآخرة، واجعَلْنا مِن عبادك الصَّالِحِين.

اللَّهمَّ فَرِّجْ كُرَب المَكْرُوبِين، ونَفِّس همومَ المَهْمُومين، وَاقْضِ الدَّيْنَ عن

---

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٢١٦٥)، مِن حديث عبد الله بنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

المَدِينِين، وَاشْفِ مَرَضَنا ومَرْضانا ومَرْضى المسلمين.

اللَّهمَّ وَفِّق وَلِيَّ أَمرِنا بتوفيقِك، اللَّهمَّ ارزُقْه البطانةَ الصَّالحةَ النَّاصحةَ، وجَنِّبْه البطانةَ الفاسدةَ الغاشَّةَ.